



هدد الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، الأسبوع الماضي، الولايات المتحدة، بشن هجوم واسع خلال الأيام المقبلة في منطقة شرق الفرات السورية، لإبعاد خطر مليشيات قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، الكردية، في إطار تطبيق خطة تركية ترمي إلى منع قيام كيان كردي مستقل شمال سوريا، الأمر الذي تعتبره أنقرة أكبر تهديد لأمنها القومي، وهي التي تشكو من تهرب واشنطن من تطبيق الاتفاق الذي توصلت إليه العاصمتان منذ بداية العام بشأن منبج، واستمرار الولايات المتحدة في تسيير دوريات مشتركة مع المليشيا الكردية في المدينة، كما تشكو من استمرار الدعم الأميركي لها، ومن مشروع واشنطن الجديد القاضي بإقامة نقاط مراقبة على الحدود السورية – التركية، بالتعاون مع المليشيات الكردية. وهذا ما ترى فيه تركيا خطة لحماية المليشيات الكردية من الهجمات التركية، بينما تقول واشنطن إن هدفها منه، بالعكس، حماية الحدود التركية. ولعل ما أثار مخاوف الأتراك أيضا تصريح السفير الأميركي الخاص للمنطقة، جيمس جيفري، بأن الحضور العسكري الأميركي سوف يستمر، وأن من المحتمل أن تطبق واشنطن في شرق الفرات، إذا احتاج الأمر، ما طبقته من قبل في شمال العراق، بما يعني إعلانها منطقة حظر جوي فيها.

تضارف هذه التهديدات المتبادلة التركية – الأميركية بتحذيراتِ روسية جاءت على لسان رئيس هيئة الأركان الروسية، الجنرال فاليري غيراسيموف، الذي اتهم، حسب وكالة روسيا، الأربع الماضية، الولايات المتحدة "بمحاولة إنشاء كيان كردي مستقل عن دمشق شمال سوريا"، و"المراهنة على الأكراد السوريين، لإنشاء كيان شبيه بدولة، مستقل عن دمشق شمال البلاد، ويقومون بتشكيل حكومة ما تسمى فدرالية شمال سوريا الديمقراطية". أما الأميركيون الذين يجمعهم مع الأتراك حلف شمال الأطلسي، فجاء جوابهم على لسان الناطق باسم وزارة الدفاع (البنتاغون)، سين روبيرتсон، أن القيام بعمليات عسكرية في مناطق يوجد فيها الأميركيون أمر مقلق، "ونحن نعتبر مثل هذا العمل غير مقبول".

من الواضح أن الجبهة الرئيسية للمواجهة الدبلوماسية والعسكرية على الأراضي السورية قد انتقلت، أو هي في طريقها للانتقال، إلى منطقة شرق الفرات، حيث تسعى الولايات المتحدة إلى أن تستعيد من خلالها وترسخ حضورها في المنطقة، وربما أن تحولها إلى منطقة نفوذ دائم لها اعتماداً على القوى الكردية، في سياق غياب حل سياسي، واستمرار التقسيم، وحرمان "سوريا الروسية" من 60% على الأقل من موارد البلاد، وأهمها: موارد الطاقة والمياه والمحاصيل الزراعية الاستراتيجية.

وفي المقابل، تدرك موسكو أنها تفقد أكثر فأكثر قدرتها على التحكم بأوراق المناورة الاستراتيجية والدبلوماسية السورية، بإبقاء الأميركيين أجزاء كبيرة من سورية خارج سيطرة نظام الأسد، الذي جعلت منه حسان طروادة، لفرض وصايتها العليا والكاملة على البلاد، وبعد تأكيد فشل الرئيس، فلاديمير بوتين، في إقناع أوروبا والدول الصناعية الغربية بتمويل إعادة الإعمار، لطي صفحة الانتقال السياسي الذي تؤكد عليه جميع القرارات الأممية، وتخفيف العبء عن حلفائه السوريين والإيرانيين. وهذا ما يؤكده أيضاً التحذير الأميركي من أن مسارى أستانـا وسوتشـى قد وصلـا إلى طريق مسدود، وأنه لا مهرب من العودة بالمحادثات السورية إلى جنـيف.

تضغط تركيا بقوات "الجيش الوطني" السورية لدفع واشنطن إلى تغيير سياستها إزاء الشمال والشرق السوريـين، وأملـاً بتقليل الدعم العسكري والسياسي واللوجستي الذي تقدمـه لمليشـيا "قـسد". أما روسـيا فـتـطـمـحـ أساسـاً إلى تعـدـيلـ موقفـ واشنـطنـ فيـ ماـ يـتعلـقـ بـالـحلـ السـيـاسـيـ، وـمـنـ تـبـلـيقـ قـرـاراتـ الـأـمـمـ الـمـتـحـدـةـ وـمـجـلـسـ الـأـمـنـ الـدـاعـيـةـ إـلـىـ اـنـتـقـالـ سـيـاسـيـ جـديـ،ـ وـالـتيـ لـاـ يـمـكـنـ تـفـسـيرـهـ بـإـعـادـةـ تـأـهـيلـ الأـسـدـ أوـ نـظـامـهـ بـأـيـ شـكـلـ.

من هنا، تبدو المواجهة حقيقة، وربما حتمية، فتركـيا تـشعـرـ بأنـهاـ تـدـافـعـ عـنـ أـمـنـهاـ الـقـومـيـ،ـ وـأـنـهاـ فـيـ سـبـاقـ معـ الزـمـنـ لـقطـعـ الـطـرـيقـ عـلـىـ وـلـادـةـ كـيـانـ كـرـديـ يـشـكـلـ مـوـطـئـ قـدـمـ لـحـزـبـ الـعـمـالـ الـكـرـدـسـتـانـيـ التـرـكـيـ الـتـخـوضـ حـرـباـ دـمـوـيـةـ مـعـهـ مـنـ عـامـ 1984ـ.ـ وـهـيـ فـقـدـتـ الثـقـةـ بـوـاـشـنـطـنـ الـتـيـ تـتـهـمـهـ بـأـنـهـاـ خـدـعـتـهـاـ فـيـ مـنـبـجـ،ـ وـلـاـ تـزالـ،ـ فـيـ شـرـقـ الـفـرـاتـ.ـ وـيـزـيدـ مـنـ فـلـقـهـ الـحـدـيثـ عـنـ حـضـورـ عـسـكـريـ سـعـودـيـ فـيـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ،ـ لـمـ يـعـنـيـهـ مـنـ رـبـطـ أـمـنـ تـرـكـياـ بـمـوـاجـهـةـ إـقـلـيمـيـةـ تـجـازـوـزـ الـمـلـيـشـيـاتـ الـكـرـدـيـةـ.ـ أـمـاـ واـشـنـطـنـ فـلـيـسـتـ عـلـىـ اـسـتـعـادـ،ـ فـيـ اـعـقـادـيـ،ـ لـأـيـ مـوـاجـهـةـ جـديـدةـ،ـ وـتـسـتـطـعـ أـنـ تـنـاـوـلـ مـعـ جـمـيعـ الـأـطـرـافـ إـقـلـيمـيـةـ مـنـ أـجـلـ الـاحـفـاظـ بـوـجـودـهـ الـاسـتـرـاتـيـجيـ فـيـ أـكـثـرـ الـمـنـاطـقـ حـسـاسـيـةـ وـأـهـمـيـةـ،ـ لـيـسـ فـيـ سـوـرـيـةـ فـحـسـبـ وـلـكـنـ فـيـ الـمـشـرـقـ،ـ عـلـىـ حدـودـ دـوـلـ ثـلـاثـ رـئـيـسـيـةـ،ـ تـرـكـياـ وـإـيـرانـ وـالـعـرـاقـ،ـ بـإـضـافـةـ إـلـىـ سـوـرـيـةـ.

وهـنـاكـ دـائـمـاـ مـخـرـجـ آـمـنـ لـلـقـوـيـ الـأـجـنبـيـ الـمـتـنـازـعـةـ عـلـىـ "اـقـتسـامـ"ـ سـوـرـيـةـ،ـ يـضـمـنـ مـتـابـعـتـهاـ رـهـانـاتـهاـ الـخـاصـةـ،ـ مـنـ دـونـ الـذـهـابـ إـلـىـ درـجـةـ الصـدـامـ فـيـ مـاـ بـيـنـهـاـ،ـ وـذـلـكـ بـبـسـاطـةـ مـنـ خـلـالـ تـوـجـيهـ الـمـلـيـشـيـاتـ الـسـوـرـيـةـ،ـ التـابـعـةـ لـهـاـ بـعـضـهـاـ ضـنـدـ بـعـضـ،ـ وـهـنـاـ "الـجـيـشـ الـوطـنـيـ"ـ الـخـاصـعـ لـلـنـفـوذـ الـتـرـكـيـ ضـدـ مـلـيـشـياـ قـوـاتـ سـوـرـيـةـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ الـمـدـعـوـمـةـ مـنـ الـلـوـلـاـتـ الـمـتـحـدـةـ،ـ وـتـرـكـ السـوـرـيـنـ يـقـتـلـونـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ.ـ سـوـرـيـونـ يـقـتـلـونـ سـوـرـيـنـ،ـ مـنـ دـونـ إـيـنـاءـ "أـحـدـ".ـ هـذـاـ مـاـ يـحـصـلـ مـنـ ثـمـانـيـ سـنـوـاتـ،ـ فـيـ عـمـومـ سـوـرـيـةـ،ـ حـتـىـ يـتـمـكـنـ كـلـ طـرـفـ مـنـ الـأـطـرـافـ الـدـوـلـيـةـ وـإـقـلـيمـيـةـ مـنـ تـحـقـيقـ مـصـالـحـهـ مـنـ دـونـ أـنـ يـحـرـقـ أـصـابـعـهـ بـالـنـارـ.

لهـذاـ مـنـ حـقـ السـوـرـيـنـ،ـ وـالـكـرـدـ مـنـهـمـ خـصـوصـاـ الـآنـ،ـ أـنـ يـقـلـقـواـ عـلـىـ مـصـيرـ آـلـافـ الـمـدـنـيـنـ الـمـهـدـدـيـنـ بـالـتـعـرـضـ لـلـكـوـارـثـ نـفـسـهاـ الـتـيـ تـعـرـضـ لـهـاـ أـشـقاـوـهـمـ مـنـ قـبـلـ،ـ مـمـنـ خـبـرـواـ حـرـبـ الـمـلـيـشـيـاتـ وـحـكـمـهاـ،ـ فـيـ حـلـبـ وـغـوـطـةـ دـمـشـقـ وـرـقـةـ وـدـيـرـ الزـورـ وـإـدـلـبـ وـعـفـرـينـ وـمـدـنـ وـبـلـدـاتـ سـوـرـيـةـ عـدـيدـةـ.ـ وـأـنـ يـسـعـيـ نـشـطـاءـ وـمـتـقـفـونـ كـثـرـ مـنـهـمـ إـلـىـ مـنـاشـدـةـ الـأـطـرـافـ الـمـخـلـفـةـ بـإـجـادـ وـسـيـلـةـ أـخـرىـ لـفـضـ النـزـاعـ الـدـوـلـيـ،ـ وـفـتـحـ مـفـاـوـضـاتـ جـمـاعـيـةـ مـنـ أـجـلـ الـبـحـثـ عـنـ مـخـرـجـ سـيـاسـيـ يـطـمـئـنـ الـجـمـيعـ،ـ وـيـحـقـنـ دـمـاءـ إـخـوـتـهـمـ،ـ وـيـوـفـرـ عـلـىـ السـوـرـيـنـ مـزـيدـاـ مـنـ الـمـوتـ وـالـدـمـارـ.ـ وـلـكـنـ سـيـكـونـ مـنـ السـذـاجـةـ الـاعـتـقادـ بـأـنـ أـيـاـ مـنـ الـدـوـلـ الـمـتـنـازـعـةـ،ـ وـأـوـلـاـهـاـ نـظـامـ الـطـغـيـانـ الـأـسـدـيـ الـبـعـيـضـ،ـ تـعـيـرـ اـهـتـمـاماـ مـنـ أـيـ نوعـ لـمـصـيرـ الشـعـبـ وـالـمـدـنـيـنـ.

فيـ المـقـابـلـ،ـ لـيـسـ لـدـىـ السـوـرـيـنـ،ـ الـمـتـنـازـعـينـ عـلـىـ الـهـرـبـ مـنـ الـمـرـكـبـ الـسـوـرـيـ الـغـارـقـ،ـ حلـ آخرـ سـوـىـ التـحرـرـ مـنـ الـوـهـمـ.

الذى سُم وجودهم، ودمر حياتهم وبلادهم، وهو اعتقاد أى فردٍ وأى مجموعةٍ وأى طبقةٍ وأى مذهبٍ وأى قوميةٍ أنها تستطيع أن تهرب بنفسها، وتبني على أنقاض المركب الغارق وطنها الخاص، من دون اعتبارٍ لمصير الآخرين، أو التفكير بمصالحهم، وأن تعمل على إغراقهم مع المركب المحطم وبمساعدة القوى الأجنبية أو بتطبيق سياسات شمشونية .

انتزع الطغيان الوحشى من السوريين، جميع السوريين، وطنهم، وتركهم في العراء، عرباً وكداً، مسلمين ومسيحيين، سنة وشيعة وعلويين وإسماعيليين وموحدّين، عشائر وحضرىين، مدنيين وريفيين، فلم يعد أحد منهم يشعر بأنه في بيته، أمين على حياته ومستقبل أبنائه. جميعهم يشعرون بأنهم في خطر الموت، وجميعهم يركضون وراء سراب مراكب من خيالهم، ويتعلّقون بقشة الدعم الأجنبي، من أجل قطعة وطنٍ تحميهم وتحتضنهم وتطمئنّهم بينما يتربّون في المركب الذي يحملهم يهرب من بين أيديهم. وكلما اقتتلوا عليه، خرج عن سيطرتهم، ووجدوا أنفسهم بين غرقى ومشدّين ومهجرين ونازحين في أرضهم، بمن فيهم الذين يعيشون على حطام وطنٍ لم يعد له من اسمه نصيب .

يحق للكرد أن لا يتقوا بسلطة عربية مركبة، بعد ما عاشوه من تشرد واضطهاد، ويحق للعرب أن يشكّوا بنوايا سلطة مليشيات كردية، لا تتردد في قتل الكرد الذين يخالفونها، وتتبّنى سياسة فرض الأمر الواقع على الجميع، تماماً كما فعلت وتفعل المليشيات الأخرى السورية، وكل مليشيات العالم. الخطوة الأولى للخروج من المقلة السورية وتفكيك قنبلة الحرب "الأهلية"، التي تدور منذ ثمان سنوات بين الطوائف والقوميات والأحزاب والطبقات والنخب السورية اليسارية واليمينية، برعاية دولية، ولصالحبقاء الأسد ونظام طغيانه، هي الشفافية، فهي وحدها التي يمكن أن تضع حدًا لسياسة "الغموض البناء" التي تتبعها جميع الدول الأجنبية المنخرطة في الحرب، للعب على جميع الأطراف السورية، واستخدامها أدواتٍ لخدمة أغراضها الاستراتيجية فحسب. وبالنسبة لما يجري من حربٍ مقنعة ومكشوفة في الشمال السوري، وفي سبيل نزع فتيل حربٍ عربيةٍ كرديةٍ يراهن على إشعالها عدد من دول التدخل الأجنبي، ينبغي أن يؤكّد جميع السوريين، أحزاباً وهيئات وشخصيات وطنية أيضاً، اعترافهم الثابت بالهوية القومية والحقوق المترتبة عليها للكرد السوريين، في إطار سورية ديمقراطية تعدّدية يقرّر الشعب، عبر ممثليه الشرعيين، أي المُنتخبين، شكل إدارتها السياسية وتسييرها. وينبغي أن يعلن القادة الكرد، أحزاباً و مليشيات وشخصيات وطنية، بعكس ما فعلوه حتى الآن، أن مصير المناطق التي يسيطرُون عليها بمساعدة خارجية، ذات أغلبية كردية أو عربية، لا تقرره الأحزاب الكردية، مهما كانت قوتها العسكرية، ولا حلفاؤها الأميركيون، وإنما يقرّرها جميع السوريين، في إطار مؤسسات الدولة الشرعية السورية الجديدة التي ينبغي التفاهم على إرساءها، وأن يكفّوا عن الحديث عن الفيدرالية المفروضة من طرف واحد، حتى لو كانت في اعتقادهم العميق، وربما في اعتقاد سورياين كثيرين، هي الحل الأمثل على المدى المتوسط أو البعيد. فلا يمكن لشعبٍ أن يقبل أن يُملّى عليه تقرير مصيره من طرف واحد، حتى لو كان حكامه. استيطان هذه القاعدة، هو المدخل للمسار الطويل الذي يقود إلى بناء وطنٍ فعلى، لا غابة وحوش، وولادة شعب، يحترم إرادة جميع أبنائه وجماعاته، لأنه يحترم نفسه. هذا هو مختصر ثورة الكرامة والحرية التي ضحى من أجلها ملايين السوريين.

المصادر:

العربي الجديد